

ومجال البلاغة التراكيب الفصيحة العفّة، أما أنها فصيحة فلأن مجال الفصيحة أوسع وأشمل، وأقل للخلافات اللهجية (النسبة إلى لهجة)، وقبل ذلك هي لغة القرآن الكريم، وأما العفّة، فلأنها لا تخذش حياة، ولا تقف في فائدتها، عند فئة دون أخرى، أو تُرضي طائفة دون غيرها. ولغة القرآن الكريم عفّة شريفة. وزاد في ذلك من قديم العلماء في تفسير مفهوم البلاغة من كلام العرب وتراكيبهم، فقال السكاكي: وأعني بتراكيب الكلام: التراكيب الصادرة عن له فضل تميّز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء، لا الصادرة عن سواهم؛ لتزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يثفق^(٦٠).

ولذلك فإنّ «فنّ البلاغة» لا تلين عربيته، ولا تنقاد قرونته بمجرد استقراء صور منه وتتيع مظانّ أخوات لها، وإتباع النفس بتكرارها، واستيداع الخاطر وتحصيلها، بل لا بدّ من ممارسات لها كثيرة، ومراجعات فيها طويلة، مع فضل إلهي من سلامة خطورة، واستقامة طبيعة، وشدة ذكاء، وصفاء قريحة، وعقل وافر^(٦١).

- ٥ -

ومن الفروق في البلاغة ما أورده أبو سليمان حمّد بن محمد الخطّابي (- ٣٨٨ هـ)، في رسالته «بيان إعجاز القرآن»^(٦٢) إذ يقول: فإن قيل لا نسلم لكم ما ادعيتموه من أنّ العبارات الواقعة في القرآن إنما وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها، لوجدنا أشياء منها بخلاف هذا الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها، كقوله: (فأكله الذئب)، وإنما يُستعمل مثل هذا في فعل السباع خصوصاً الافتراس، يُقال: افترسه السبع. هذا هو المختار الفصيح في معناه.

٦٠ - السابق: ص ٧٧.

٦١ - نفسه: ص ٨٣.

٦٢ - طبعت ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» تحقيق / محمد خلق الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨ م.